# Foreign political relations of the western state of Tripoli during the reign of Youssef Pasha Al-Qarmani between the years 1795 - 1832 AD

**Dr. Rabei Othman***

**(Received 15 / 10 / 2023. Accepted 14 / 12 / 2023)**

## □ ABSTRACT □

The research deals with the foreign political relations of the state of Tripoli-Gharb during the rule of Youssef Pasha al-Qaramanli, which extended between the years 1795 - 1832 AD, with various neighboring Ottoman states such as Tunisia and Egypt, and with European countries and the United States of America. The location of Tripoli-Gharb in the middle of the Mediterranean Sea on its southern bank contributed to Tripoli of the West played an influential role in maritime navigation and international trade in the Mediterranean, especially at that important stage in which the military activity of the fleets of the North African states (Tunisia, Algeria, Tripoli of the West) increased, as the fleets of those Ottoman states were attacking European ships and controlling them. Therefore, various European countries, and later the United States of America, sought to win the favor of the governments of those states, led by the government of Youssef Pasha al-Qarmanli in Tripoli, the West, by concluding treaties and agreements to guarantee the freedom of navigation of their ships in the Mediterranean without exposing them to attacks by ships belonging to Tripoli, the West. In addition, the governments of some of those countries sought to Especially France and Britain are behind those treaties to exploit Libya's strategic location leading to the heart of the African continent with the aim of expansion and control. Therefore, it can be said that the political conditions and maritime conflicts in the Mediterranean contributed to the establishment of active foreign political relations for Tripoli in the West during the reign of Youssef Pasha Al-Qarmanli, with various countries with interests. Political and commercial vitality in the Mediterranean.

**Keywords :** Tripoli West, Youssef Pasha, United States of America, The Karamanli Family.

**Copyright** **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

***Assistant professor , History department ,Faculty of Art , Tishreen University , Lattakia , Rabieo601@gmail.com**

# العلاقات السياسية الخارجية لولاية طرابلس الغرب في عهد يوسف باشا القرماني ما بين عامي 1795 – 1832م

د. ربيع عثمان*

(تاريخ الإيداع 15 / 10 / 2023. قبل للنشر في 14 / 12 / 2023)

## ملخّص

يتناول البحث العلاقات السياسية الخارجية لولاية طرابلس الغرب خلال حكم يوسف باشا القرمانلي الممتد ما بين عامي 1795 – 1832م ، مع مختلف الولايات العثمانية المجاورة كتونس ومصر ، ومع الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية ، فقد ساهم موقع طرابلس الغرب في وسط البحر المتوسط على الضفة الجنوبية منه في لعب طرابلس الغرب دوراً مؤثراً في حركة الملاحة البحرية والتجارة الدولية في البحر المتوسط ، خاصة في تلك المرحلة الهامة والتي ازداد فيها النشاط الحربي لأساطيل ولايات الشمال الإفريقي (تونس ، الجزائر ، طرابلس الغرب) حيث كانت أساطيل تلك الولايات العثمانية تهاجم السفن الأوروبية وتقوم بالسيطرة عليها ، لذلك سعت مختلف الدول الأوروبية ولاحقاً الولايات المتحدة الأمريكية لكسب ود حكومات تلك الولايات ، وعلى رأسها حكومة يوسف باشا القرمانلي في طرابلس الغرب عبر عقد المعاهدات والاتفاقيات لضمان حرية ملاحة سفنها في البحر المتوسط دون تعرضها لاعتداءات السفن التابعة لطرابلس الغرب ، فضلاً عن سعي حكومات بعض تلك الدول خاصة فرنسا وبريطانيا من وراء تلك المعاهدات لاستغلال موقع ليبيا الاستراتيجي المؤدية إلى قلب القارة الإفريقية بهدف التوسع والسيطرة ، لذلك يمكن القول أن الظروف السياسية والصراعات البحرية في المتوسط ساهمت في إقامة علاقات سياسية خارجية نشطة لطرابلس الغرب في عهد يوسف باشا القرمانلي ، مع مختلف الدول ذات المصالح الحيوية السياسية والتجارية في البحر المتوسط .

**الكلمات المفتاحية** : طرابلس الغرب ، يوسف باشا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، الأسرة القرمانلية

**حقوق النشر** :مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

*أستاذ مساعد ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، سورية Rabieo601@gmail.com

## مقدمة :

استمرت طرابلس الغرب خاضعة لسيطرة فرسان القديس يوحنا إلى أصدر أن السلطان العثماني سليمان القانوني أمره إلى قائد الأسطول العثماني طرغوت باشا بالتوجه إلى طرابلس ، باعتبار سكانها من المسلمين الذين طلبوا النجدة من السلطان العثماني لإنقاذهم من أيدي فرسان القديس يوحنا ، فقام طرغوت باشا بحصار المدينة حصاراً شديداً إلى أن أجبر حاميتها على طلب الاستسلام وتسليم المدينة في عام 1551م ، فصدر أمر سلطاني من السلطان سليمان القانوني يقضي بتعيين طرغوت باشا والياً عليها ([1]) .

تعاقب على حكم ولاية طرابلس الغرب منذ السيطرة العثمانية عام 1551م حتى عام 1711م أربعة وثلاثون والياً ، عرفت خلالها الولاية فترات من الازدهار والرخاء في بداية السيطرة العثمانية ، لكن تلك الفترة لم تستمر طويلاً حيث تسرب الضعف إلى جسم الدولة العثمانية ، فانعكس ذلك على الحكم العثماني في الولايات التابعة لها ، فعمت الاضطرابات والفوضى ، مما انعكس سلباً على الأوضاع السياسية والاقتصادية في تلك الولايات ، ومنها ولاية طرابلس الغرب . يعتبر العام 1711م من الأعوام المفصلية في تاريخ ليبيا ، فهو العام الذي تولت فيه الأسرة القرمانلية الحكم في طرابلس الغرب والذي استمر أكثر من قرن إلى عام 1835م . يجمع المؤرخون أن جد القرمانليين كان مقاتل على متن الأسطول العثماني قدم من مدينة قرمان في الأناضول رفقة القبطان طرغوت باشا عندما جاء لتحرير طرابلس من فرسان القديس يوحنا عام 1551م ، وأنه استقر في المدينة وتزوج من إحدى نساء المدنية ، فتوارث أفراد هذه الأسرة لقب جدهم الأكبر القرمانلي ([2]) .

إنهاء الحكم العثماني المباشر في الولاية إثر اختيار أعضاء ديوان الولاية وأعيانها وقادة الجند فيها أحد كبار ضباط الانكشارية ، وهو أحمد القرمانلي والياً ، بعيداً عن تدخل السلطات العثمانية ، بعد الاضطرابات السياسية والفتن الداخلية التي عانت منها الولاية . ولم تكن السلطات العثمانية في العاصمة استانبول راضية عن التطورات السياسية التي حدثت في طرابلس الغرب ، لكون قرار تنصيب أحمد القرمانلي واليا على طرابلس الغرب جاء خارجاً عن إرادة الحكومة العثمانية ، فقررت استخدام القوة لعزله ، لكن تلك المحاولة باءت بالفشل ، وأجبرت على الرضوخ لسياسة الأمر الواقع ، خاصة بعد الدعم الكبير الذي حظي به أحمد باشا من قبل السكان والجند ، فتم إصدار فرماناً سلطانياً أقر بموجبه تعيين أحمد القرمانلي والياً على طرابلس الغرب وتم منحه لقب بكربكي ، واستطاع تأسيس أسرة حاكمة استمرت في حكم الولاية حكماً ذاتياً حتى عام 1835م ([3]) .

خلف أحمد القرمانلي في حكم ولاية طرابلس الغرب ابنه محمد باشا ، بموجب فرمان سلطاني صادر عن السلطات العثمانية في العاصمة العثمانية استانبول ، وتميز عهده بالاستقرار والهدوء الذي نعمت به الولاية ، فوجه جهوده إلى تجديد الأسطول البحري وتقويته ، وذلك بهدف القيام بأعمال القرصنة والغزو البحري للسواحل الأوروبية ومصادرة

**([1]) حرب ، محمد ، العثمانيون في التاريخ والحضارة ، المركز المصري للدراسات العثمانية ، القاهرة ، 1994 ، ص 69 .**

**([2]) فيرو ، شارل ، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي ، تحقيق عبد الكريم الوافي ، الطبعة الثالثة ، منشورات جامعة خان يونس ، بنغازي ، 1994 ، ص 263 .**

**([3]) يوسف ، وليد خالد ، حكم الأسرة القرمانلية في ولاية طرابلس الغرب (1711– 1835م) ، مجلة جامعة تكريت للعلوم ، المجلد 19 ، العدد السادس ، ص 284 .**

السفن الأوروبية في البحر المتوسط ، فحاولت الدول الأوروبية استرضاءه وعقد الاتفاقيات معه لضمان سلامة سفنها وحرية تنقلها وإبحارها في البحر المتوسط ([4]) .

خلف محمد باشا في حكم ولاية طرابلس الغرب ابنه علي باشا ، وكان عهده في بداية حكمه استمراراً لنهج والده محمد باشا ، لكن أوضاع طرابلس الغرب ساءت في آخر أيام حكم علي باشا القرمانلي بسبب تمرد ابنه يوسف ، وترافق ذلك مع حلول الجفاف وقلة الأمطار وضعف الانتاج الزراعي وانتشار الأوبئة والأمراض ، فأدى ذلك إلى انتشار الفوضى والاضطرابات في الولاية ، ومما ساهم في تفاقم الأوضاع الصراع الكبير على السلطة بين أفراد الأسرة القرمانلية ، فأدى ذلك إلى إجبار علي باشا على التنازل عن حكم الولاية ، تحت ضغط الإنكشارية والتذمر الشعبي لابنه أحمد باشا، إلا أن أخاه الأصغر يوسف باشا تمكن من الاستيلاء على السلطة في حزيران 1795م ([5]) .

## أهمية البحث وأهدافه :

يهدف البحث إلى دراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية في ولاية طرابلس الغرب خلال فترة حكم يوسف باشا القرمانلي الممتدة بين عامي 1796–1832م ، والسياسات الداخلية التي تبناها في المجالات الإدارية والقضائية والاقتصادية ، والاصلاحات العسكرية التي أدخلها على الجيش والأسطول في الولاية ، كما يركز البحث على دراسة العلاقات السياسية الخارجية لولاية طرابلس الغرب في عهد يوسف باشا القرمانلي مع مختلف الولايات العثمانية المجاورة لولاية طرابلس الغرب ، ومع مختلف الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية ، تلك الدول التي سعت إلى كسب ود يوسف باشا ، وإقامة علاقات سياسية واقتصادية جيدة مع طرابلس الغرب ، خصوصاً حماية سفنها من النشاطات الحربية للأسطول الليبي في مياه البحر المتوسط .

## منهجية البحث :

اعتمد البحث على المنهج العلمي التاريخي القائم على الالتزام بقواعد منهجية البحث التاريخي المتعلّقة بالمعرفة التاريخية المنظمة القائمة على التوثيق والمعالجة الموضوعية المستندة إلى النقد والتحليل واستخدام الصياغة والتركيب التاريخي الصحيحين ، مع مراعاة الجانب الوصفي في دراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية في ولاية طرابلس الغرب خلال فترة حكم يوسف باشا القرمانلي ، وذلك بالاعتماد على المصادر والمراجع التي تتناول الأوضاع السياسية والاقتصادية والعلاقات الخارجية لولاية طرابلس الغرب في القرن الثامن عشر ، مع إخضاع تلك المصادر والمراجع للنقد والتدقيق للتأكد من صحتها ومدى مصداقيتها .

## أولاً . نشأة يوسف باشا القرمانلي ، ووصوله إلى الحكم :

ولد يوسف باشا في الخامس عشر من شهر آب عام 1766م ، قضى طفولته مع أخوته في رحاب قصر أبيه في طرابلس الغرب ، تذكر المصادر التاريخية أنه حظي بقدر كبير من الدلال والحظوة من قبل أبيه وأمه ، وتلقى الكثير من العلوم وعلى رأسها العلوم الدينية واللغة العربية ، كما تعلم اللغة الإيطالية نتيجة كثرة احتكاكه بالأجانب الذين كانوا يتوافدون بكثرة على طرابلس الغرب في عهد أبيه علي باشا القرمانلي . تزوج يوسف باشا من أربع نساء ، وكانت الزوجة الاشهر وصاحبة الكلمة العليا اللالة مريومة ، وهي من افراد الأسرة القرمانلية ، عُرف عن يوسف باشا أنه رجل

**([4]) رشدي ، راسم ، طرابلس الغرب بين الماضي والحاضر ، الطبعة الأولى ، طرابلس ، 1953م ، ص 94 .**

**([5]) ياغي ، إسماعيل أحمد ، العالم العربي في التاريخ الحديث ، الطبعة الأولى ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، 1997 ، ص 149 .**

يتمتع بشخصية قوية ومتسلطة تعشق السلطة وجمع المال ، وأن هذه الشخصية مزجت ما بين الكرم الوحشية ، فقد وصفه أحدى المستكشفين الأوروبيين بأن " يوسف باشا مزيج من الفضائل والرذائل ، فهو رجل اجتماعي ، ذكي ، أب عطوف ، وصديق مخلص ، يبدو أن الطبيعة قد أرادته أن يكون إنساناً شريفاً ، لكن التجارب والمحن التي صادفته قد ساهمت في طغيانه الجامع وفكره الخالي من الثقافة " ([6]) .

لم يقنع يوسف باشا بما أُسند إليه من مناصب ، وكان أهمها نائب للوالي في ولاية طرابلس الغرب وقائداً للجيش في الولاية ، فاستغل التفاف انصاره من القبائل والسكان المحليين حوله ، وبدأ يعد العدة للتمرد على أخيه أحمد ، مستغلاً نقمة سكان طرابلس على الحكم القرمانلي ، خاصة بعد المبالغ المالية الكبيرة التي دفعها سكان الولاية للجيش التونسي ، لتغطية نفقات الحملة التي تكبدها أثناء زحفه إلى طرابلس الغرب ، كما أشاع يوسف باشا بين السكان المحليين ان أخوه أحمد قد وعد حكام تونس بمبالغ مالية كبيرة في حال ساعدوه في الحصول على كرسي الحكم في طرابلس الغرب .

ظل يوسف باشا مترقباً قدوم الفرصة المناسبة للخروج على أخيه ، فاستغل خروج أحمد باشا مع كبار الأعيان إلى مدينة تاجوراء لزيارة بعض الأضرحة ، وهو تقليد دأبت الاسرة القرمانلية على ممارسته كل سنه في منتصف شهر شعبان ، فقام يوسف باشا الذي كان مع افراد الأسرة في هذه الرحلة بالتسلل خفية في منتصف الطريق والعودة إلى طرابلس ، وهنالك أصدر أوامره بإغلاق أبواب المدينة وإطلاق بعض الرشقات من المدفعية معلناً عصيانه وتمرده على أخيه أحمد باشا الذي أدرك عدم قدرته على مواجهة أخيه المتحصن في المدينة لذلك فضل الرضوخ للأمر الواقع وقرر الانسحاب مع عائلته وأنصاره إلى مصر ومنها توجه إلى مالطا ([7]) ، فتم فتح ابواب المدينة وأعلن عن تنصيب يوسف باشا حاكماً على الولاية في الخامس والعشرون من شهر حزيران عام 1795م ([8]) .

## ثالثاً . السياسة الداخلية ليوسف باشا القرمانلي في طرابلس الغرب :

حاول يوسف باشا القرمانلي بعد وصوله إلى السلطة أن يضفي على حكمه صفة الشرعية عبر الحصول على موافقة السلطان العثماني على تعيينه حاكماً على ولاية طرابلس الغرب ، ولكي يتمكن من الحصول على هذا الأمر قام بجمع وجهاء الولاية وأعيانها وأمرهم بكتابة عريضة إلى السلطان العثماني يطالبون فيها بتعيينه والياً على طرابلس الغرب ، وأمر أن ترفق هذه العريضة بعدد كبير من الهدايا والنفائس ، إضافة إلى رسالة شخصية من قبله إلى السلطان العثماني تتضمن شرحاً مفصلاً عن الأحداث التي وقعت أخيراً في الولاية . نجحت خطة يوسف باشا في الحصول على شرعية حكمه لولاية طرابلس الغرب عندما صدر فرمان سلطاني بتعيينه والياً على طرابلس الغرب وتم منحه لقب باشا ([9]) .

بعد تمكن يوسف باشا القرمانلي من التخلص من منافسيه على الحكم ، والحصول على فرمان سلطاني أضفى صفة الشرعية على حكمه ، انصب اهتمامه على تقوية الولاية والاهتمام بإصلاح أوضاعها الداخلية ، فقام بتنظيم الجهاز الإداري في الولاية على أسس متينة حيث يقف على رأس الهرم الإداري الوالي ومعاونوه الأقربون . كما أدخل يوسف باشا بعض الاصلاحات على الجهاز القضائي ، فكانت المحاكمات تجري في الولاية عن طريق قاضيين ، يمثل أحدهما المذهب الحنفي الذي يعتمده العثمانيون ، وكان يتم تعيين هذا القاضي بموجب فرمان سلطاني صادر عن

---

**([6]) روسي ، أتوري ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م ، ترجمة خليفة محمد التليسي ، مكتبة الاسكندرية ، 1974م ، ص 373 .**

**([7]) بروشين ، نيكولاي ايلتش ، تاريخ ليبيا في العصر الحديث من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين ، ترجمة وتقديم عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 2001 ، ص 150 .**

**([8]) برينا ، كوستانزيو ، طرابلس من 1510 إلى 1850م ، تعريب محمد خليفة التلبسي ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 1985 ، ص 240 .**

**([9]) بروشين ، مرجع سابق ، ص 154 .**

العاصمة العثمانية ، أما القاضي الثاني فكان يعين من داخل الولاية ويمثل المذهب المالكي الذي يعتمده غالبية سكان الولاية . ركز يوسف باشا اهتمامه الأكبر على في إصلاحاته الداخلية على الجيش والأسطول ، لكونه الجيش العامل الأساسي في ضبط الأمن في الولاية ، الأسطول المورد المالي الأكبر لخزينة الولاية بفضل نشاطه الحربي في المتوسط. فعلى صعيد الجيش قام بتحديث الجيش وتشكيل قوات نظامية مدربة على غرار الجيوش الأوروبية ([10]) ، وعمل على تنشيط صناعة الأسلحة الخفيفة من البنادق والخناجر والسيوف في داخل ولايته ، فيما قام باستيراد قطع السلاح الكبيرة والأسلحة الثقيلة من خلال المعاهدات الموقعة مع الدول الأوروبية ([11]) ، وكانت معظم عناصر الجيش من القولوغلية والانكشارية المقيمين في طرابلس الغرب حيث استطاع يوسف باشا زيادة عدد أفراد جيشه ليبلغ حوالي عشرة آلاف فارس وأربعين ألف من المشاة ([12]) .

كما اهتم يوسف باشا اهتماماً كبيراً بتوفير جميع متطلبات الأسطول من زيادة عدد السفن وتأمين العتاد والمؤن ، لكي يكون أسطول طرابلس الغرب مماثلاً في قوته لأساطيل تونس والجزائر حيث أدرك يوسف باشا أن مكانة ولايته في المنطقة تتوقف على قوتها البحرية ([13]) ، ومما يدل على أهمية الأسطول في عهد الأسرة القرمانلية بشكل عام أن قائد الأسطول يجب أن يكون أحد أفراد الأسرة الحاكمة أو من الاشخاص المرتبطين بصلة الرحم مع الأسرة القرمانلية ([14]) . لذلك أولى يوسف باشا أهمية كبيرة لبناء السفن وبذل جهوداً كبيرة للحصول على الأخشاب اللازمة لصناعة تلك السفن، كما استعان بخبرات بعض الدول الأوروبية ذات الباع الطويل في النشاط البحري ، والتي تربطه علاقات ودية معها كإسبانيا التي أرسلت له في عام 1797م مهندساً مختصاً ببناء السفن يرافقه بعض العمال المختصين في ذلك المجال ([15]) .

## ثالثاً . العلاقات السياسية الخارجية ليوسف باشا القرمانلي :

ارتبطت ولاية طرابلس الغرب خلال فترة حكم يوسف باشا القرمانلي بعلاقات جيدة تارة وعدائية تارة مع حكام الولايات العثمانية المجاورة كتونس ومصر ، مع الدول الأوروبية التي كانت تبحر سفنها في البحر المتوسط .

### 1. العلاقات مع الولايات العثمانية المجاورة :

### أ . تونس :

ارتبطت ولاية طرابلس الغرب بعلاقات جيدة مع حكام ولاية تونس ، فقد سعى يوسف باشا القرمانلي إلى تعزيز هذه العلاقات خاصة أن لحكام تونس فضل كبير على الأسرة القرمانلية التي التجأت إليهم في عام 1793م ، عندما حاول علي برغل السيطرة على طرابلس الغرب ، كما لعب حمودة باشا باي تونس دوراً كبيراً في حصول يوسف باشا على

---

**([10]) الويبة ، كامل علي مسعود ، الإدارة العثمانية في طرابلس الغرب 1842 – 1911 ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2005 ، ص 21 .**

**([11]) علوان ، إيمان محمد عبده ، دور يوسف باشا القرمانلي السياسي في طرابلس الغرب 1795 – 1832 ، جامعة بغداد ، بغداد ، 2017 ، ص 28 .**

**([12]) بروشين ، مرجع سابق ، ص 160 .**

**([13]) العربي ، بو عناني ، التحالف الأوروبي ونهاية حكم يوسف باشا القرمانلي ، 1795 – 1832 ، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة ابن خلدون ، تيارت ، العدد 12 ، 2017 ، ص 146 .**

**([14]) بروشين ، مرجع سابق ، ص 156 .**

**([15]) العربي ، مرجع سابق ، ص 146 .**

فرمان تعيينه من قبل السلطات العثمانية في العاصمة استانبول ([16]) . لكن يوسف باشا تنكر جميل حمودة باي عليه بعدما استتب له الحكم في طرابلس الغرب وكثرة أمواله ، فرفض تسديد بقية الديون المترتبة عليه لصالح الخزينة التونسية حيث كان حكام تونس يطالبوه بتسديد تكاليف الحملة التي تم إرسالها إلى طرابلس الغرب لإعادة كرسي الحكم إلى الاسرة القرمانلية ، وكانت حجة يوسف باشا أن السند سابق الذكر ، والذي كانت سلطات تونس تطالب بدفعه هو من توقيع أخيه أحمد ولذلك فإنه لا يعترف به ، ولم يكتف يوسف باشا بذلك بل أرسل حملة عسكرية إلى مدينة أغدامس ، وهي مدينة تابعة لولاية تونس بقيادة ابنه علي ، فتم حصارها لمدة ثلاثة ايام ، وعندما شعر سكانها بضعفهم وعجزهم عن المقاومة وخشيتهم من دخول الجيش الليبي وتعرض المدينة للنهب والسلب ، قرروا طلب الاستسلام والاعتراف بسلطة يوسف باشا ، والذي اشترط عليهم دفع ضعف الضرائب التي كانوا يدفعونها لسلطات تونس ، ودفع نفقات الحملة ، فوافق الأهالي على هذه الشروط ، أما فيما يتعلق بالموقف التونسي من الحرب التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية على ولاية طرابلس الغرب ، فقد وقف حكام تونس إلى جانب إخوانهم في طرابلس الغرب متناسيين الخلافات السابقة مع يوسف باشا ، وتم لاحقا حل الخلافات الحدودية بين الولايتين في عام 1830م ، واستمرت العلاقات بالتحسن التدريجي والاستقرار بين الطرفين حتى نهاية حكم الأسرة القرمانلية في طرابلس الغرب ([17]) .

**ب ـ مصر :**

اتصفت العلاقات بين ولايتي مصر وطرابلس الغرب خلال فترة حكم يوسف باشا بالود والصداقة، ولم تتأزم العلاقة بين الطرفين إلا في مرحلة انتشار بعض الأنباء عن عزم محمد علي المشاركة في الحملة الفرنسية للسيطرة على الجزائر ([18]) ، وعند انتشار تلك الشائعات عن استعداد محمد علي للقيام بحملة برية باتجاه الجزائر عن طريق ليبيا ، خاصة مع حدوث بعض الغارات المصرية على إقليم درنة التابع لطرابلس الغرب ، عندها قرر يوسف باشا الاستعداد لمواجهة الخطر القادم ، لكن الأمور ما لبثت أن عادت إلى الهدوء بعد وصول الأخبار الحقيقية بأن محمد علي يستعد للهجوم على بلاد الشام ، وليس على طرابلس الغرب ([19]) .

## 2. العلاقات مع الدول الأوروبية :

على الرغم من كون ولاية طرابلس الغرب تابعة للسلطنة العثمانية ، إلا أنها ارتبطت بعلاقات سياسة واقتصادية قوية مع مختلف الدول الأوروبية ، بحكم موقعها الاستراتيجي على سواحل البحر المتوسط حيث سعت الدول الأوروبية إلى كسب ود حكام طرابلس الغرب لتحيق بعض المكاسب السياسية والاقتصادية .

### أ ـ العلاقة مع انكلترا :

استطاعت الحكومة البريطانية إقامة علاقات سياسية مبكرة مع حكام طرابلس الغرب حتى قبل وصول الأسرة القرمانلية إلى سدة الحكم في الولاية، وكان الهدف البريطاني من وراء إقامة تلك العلاقات المحافظة على سلامة مرور السفن

**([16]) إسماعيل ، عمر علي ، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795 – 1835 ، الطبعة الأولى ، دار الفرجاني ، طرابلس ، 1966، ص 151 .**

**([17]) علوان ، مرجع سابق ، ص 64 .**

**([18]) إسماعيل ، مرجع سابق ، ص 152 .**

**([19]) ميكاكلي ، رودلغو ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، ترجمة طه فوزي ، دار الفرجاني ، طرابلس ، ص 221 .**

البريطانية أمام سواحل الولاية دون أن تتعرض للقرصنة من قبل سفن الأسطول الليبي، كما لعبت التجارة دوراً كبيراً في تعزيز العلاقة بين طرابلس الغرب وبريطانيا، فقد تم إنشاء أول قنصلية بريطانية في طرابلس في عام 1658م ([20]).

عند اعتلاء يوسف باشا منصب الوالي في طرابلس الغرب قدم له القنصل الإنكليزي في المدينة السير سيمون لوكس الكثير من الهدايا النفيسة ، فشكره يوسف باشا على هذه المبادرة الطيبة التي أعقبت تسلمه منصب الوالي في طرابلس الغرب ، ولذلك حرص يوسف باشا على اقامة علاقات طيبة وودية مع الحكومة الانكليزية ، محاولاً الحصول على العتاد والسلاح اللازمة لجيشه واسطوله ، لكن هذا الود بين يوسف باشا والحكومة الإنكليزية لم يستمر طويلاً ، ففي عام 1798م ، مع انطلاق الحملة الفرنسية باتجاه مصر واحتلالها جزيرة مالطا في الطريق إلى مصر بدأت العلاقات تتوتر بين يوسف باشا والحكومة الإنكليزية ، بسبب ميل يوسف باشا وانحيازه لصالح الحكومة الفرنسية العدو اللدود والمنافس الأكبر للحكومة الإنكليزية للسيطرة والتوسع في العالم بصورة عامة ، وفي البحر المتوسط بصورة خاصة ([21]) .

عندما علم السلطان العثماني بالموقف الجديد ليوسف باشا وقيامه بعقد الصلح بينه وبين الحكومة الفرنسية عام 1801م دون الرجوع إلى السلطات العثمانية في العاصمة استانبول ، أصدر أوامره إلى حكام طرابلس الغرب بفسخ تلك المعاهدة وقطع العلاقات السياسية والاقتصادية بين حكام طرابلس الغرب والحكومة الفرنسية بتحريض من القنصل الإنكليزي في العاصمة العثمانية ، لكن يوسف باشا لم يستجب لطلب السلطات العثمانية مفضلاً الحفاظ على علاقاته الجيدة مع الفرنسيين ، مما دفع بالحكومة الإنكليزية إلى إصدار أوامرها إلى قائد الأسطول الإنكليزي المتواجد في البحر المتوسط نيلسون بالتعرض للأسطول الليبي ومهاجمة السواحل الليبية لإرغام يوسف باشا على تنفيذ الاوامر السلطانية وقطع علاقاته السياسية والاقتصادية مع الحكومة الفرنسية ، فأرسل نيلسون أحد ضباطه لمقابلة يوسف باشا في طرابلس الغرب ، وبالفعل نجح الضباط الإنكليزي في الحصول على موافقة يوسف باشا على إيقاف تعاونه السياسي والاقتصادي مع الحكومة خشية تعرض أسطوله وسواحل ليبيا للهجوم من قبل الأسطول الإنكليزي ([22]) .

بدأ يوسف باشا بتغير سياساته وعلاقاته الدولية مع كل من فرنسا وإنكلترا حيث أوقف تأييده الغير محدود للحكومة الفرنسية ، وبالمقابل بدأ يوثق صلاته بالإنكليز حيث أرسل برقية تهنئة للحكومة الإنكليزية ، بعد الانتصار الذي حققه الأسطول الإنكليزي ضد الاسطول الفرنسي في البحر المتوسط ، كذلك حرصت الحكومة الإنكليزية على توثيق وتقوية علاقتها بيوسف باشا، فتم تعيين قنصل جديد في طرابلس الغرب بعد عودة قنصلها القديم إلى انكلترا في عام 1812م، فحرص القنصل الجديد ألفريدو هانمر وارنجتون على توفير الأجواء المناسبة والودية لخلق تعاون مثمر مع يوسف باشا، فأخذت العلاقات الإنكليزية مع يوسف باشا بالتحسن والتقدم بشكل تدريجي ، لكن هذه الأجواء الإيجابية بين الطرفين لم تستمر طويلاً بسبب قيام بعض القراصنة الليبيين في عام 1815م ، بالاعتداء على سفينة تجارية إنكليزية واقتيادها إلى ميناء طرابلس ، فرفع القنصل الانكليزي وارنجتون القضية إلى المحكمة الانكليزية في مالطا ، والتي أصدرت قرارها بإعادة السفينة وتغريم القراصنة الليبيين الذين اعتدوا على السفينة الإنكليزية بدفع غرامة مالية بسبب اعتدائهم على تلك السفينة .

---

**([20]) الخياط ، عبد الله خليفة ، العلاقات السياسية بين آيالة طرابلس الغرب وانكلترا 1775 – 1832 ، الطبعة الأولى ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع ، طرابلس ، 1985 ، ص 13 .**

**([21]) المرجع السابق ، ص 49 .**

**([22]) المرجع السابق ، ص 52 .**

بعد عدة أيام من هذه الحادثة تعرض بوسف باشا إلى محاولة اغتيال ، لكنها باءت بالفشل وتم القبض على منفذها وهو عبد مسيحي ، فشك يوسف باشا أن يكون وراء هذه المحاولة القنصل الإنكليزي في طرابلس الغرب ، فسمح للسفن الليبية بعد محاولة الاغتيال الفاشلة بمهاجمة السفن الإنكليزي في البحر المتوسط ، لكن الأمر لم يستمر طويلاً فمع وصول خمس سفن حربية إنكليزية في نيسان عام 1816م إلى ميناء طرابلس الغرب حاملة تهديدات صريحة ليوسف باشا وأسطوله البحري لوقف اعتداءاته على السفن التجارية الإنكليزية في البحر المتوسط ، فتعهد يوسف باشا تحت تهديد فوهات المدفعية الإنكليزية بوضع حد للقرصنة واعتداء السفن الليبية على السفن التجارية الإنكليزية وغيرها من السفن الأوروبية ، وتم إجبار يوسف باشا على توقيع معاهدة مع الحكومة الإنكليزية نصت على أن بنود معاهدة الصداقة والملاحة الموقعة سابقاً بين الطرفين تسري على جزر البحر الأيوني المأهولة بالسكان اليونانيين التابعين للتاج البريطاني ([23]) .

إلا أن يوسف باشا لم يلتزم كثيراً بالبنود والشروط الموقعة مؤخراً حيث عمد بعد مغادرة السفن الإنكليزية الخمسة ميناء طرابلس إلى إصدار أوامره إلى القراصنة الليبيين بمتابعة نشاطهم البحري ، فاستمر هذا النشاط حتى انعقاد مؤتمر اكس لاشابل عام 1818م ، والذي شاركت به عدد كبير من الدول الأوروبية التي لها مصالح في القضاء على القرصنة في البحر المتوسط ، فوجهت الدول الأوروبية المشاركة في هذا المؤتمر إنذاراً شديد اللهجة إلى الولايات العثمانية في الشمال الإفريقي بإيقاف اعتداءات السفن التابعة لتلك الولايات على السفن الأوروبية في البحر المتوسط ، وأنه في حال استمرت تلك الاعتداءات سيقابل ذلك بأشد العقوبات الرادعة ، وتم تكليف كل من إنكلترا وفرنسا بمهمة تبليغ حكام طرابلس الغرب وتونس والجزائر بمقررات ذلك المؤتمر والإنذارات الموجهة إلى تلك الولايات . كان الرد من قبل حكام طرابلس الغرب أن يوسف باشا قد أصدر أوامره سابقاً بمنع القرصنة البحرية ، وأن السفن الليبية متوقفة عن الخروج من موانئ الولاية منذ زمن ، وأن السلطات الليبية تبذل جهد كبير لتلبية رغبة الحكومتين الإنكليزية والفرنسية المتعلقة بإيقاف القرصنة البحرية ، وأن يوسف باشا يتفق كلياً مع جميع الدول الأوروبية المشاركة في مؤتمر إكس لاشابل لإنهاء القرصنة ([24]) .

## ب ـ العلاقة مع فرنسا :

كانت من أبرز نتائج قيام الثورة الفرنسية عام 1789م ، زيادة الأطماع الاستعمارية الفرنسية في مناطق الشرق بشكل عام ، ومصر بشكل خاص حيث تطلع نابليون لسيطرة على مصر وإخضاعها للسيطرة الفرنسية ، مما يسمح لفرنسا بوضع قدم لها في منطقة الحوض الشرقي من البحر المتوسط ، وبالتالي يهدد المصالح الإنكليزية في هذه المنطقة الحيوية التي تشكل جزءاً من الطريق إلى الهند جوهرة التاج البريطاني ، لذلك حرصت فرنسا إلى تعزيز علاقاتها مع الولايات العثمانية في المنطقة ، وخصوصاً ولايات الشمال الإفريقي وعلى رأسها طرابلس الغرب ، فقد شهدت العلاقات الفرنسية مع ولاية طرابلس الغرب في عهد يوسف باشا القرمانلي تقارباً كبيراً ، ويعود هذا إلى قيام نابليون بتحرير الأسرى الليبيين والجزائريين الذي كانوا موجودين في مالطا عندما احتل هذه الجزيرة في طريقه إلى مصر ([25]) . يضاف إلى ذلك حرص يوسف باشا على تعزيز علاقته من فرنسا حيث خشي من الانتصارات التي حققها نابليون في

**([23]) بروشين ، مرجع سابق ، ص 215 .**

**([24]) المرجع السابق ، ص 218 .**

**([25]) بروشين ، مرجع سابق ، ص 201 .**

مصر وخوفه من تطلع نابليون للسيطرة على ولاية طرابلس الغرب ، لتكون قاعدة انطلاق لتوسيع السيطرة الفرنسية في المنطقة ، لذلك رغب بالمحافظة على استقلال ولايته ، وأدرك أن هذا الأمر غير قابل التحقيق دون أن تربطه علاقات ودية مع الفرنسيين ، ومما ساعد على تحقيق ذلك استخدام الفرنسيين لطرابلس الغرب كقاعدة لتزويد الجيش الفرنسي الموجود في مالطا بالمؤن والعتاد وكل ما يحتاجه ، والتي كان قد انتزعها نابليون من فرسان القديس يوحنا ، وهو في طريقه إلى مصر كما ذكرنا سابقاً ([26]) .

لعب القنصل الفرنسي المتواجد في طرابلس الغرب دوراً كبيراً في الحفاظ على العلاقة الودية التي ربطت حكومة بلاده مع يوسف باشا ، وقد أثارت هذه العلاقة الجيدة التي ربطت الفرنسيين بيوسف باشا حفيظة الإنكليز، فبدأت الحكومة الإنكليزية بتحريض الدولة العثمانية للضغط على يوسف باشا لتغير موقفه الموالي للفرنسيين ، فحاولت السلطات العثمانية إجبار يوسف باشا على تجهيز قواته للهجوم على الفرنسيين في مصر من الغرب ، كما صدرت أوامر إلى يوسف باشا بقطع علاقاته السياسية والاقتصادية مع الفرنسيين المحتلين لمصر ، وأن يبدأ الحرب ضدهم ، وعندما تجاهل يوسف باشا المطالب العثمانية صدرت أوامر جديدة له لتنفيذ ما طلب منه سابقاً ، بالإضافة إلى القبض على القنصل الفرنسي والتجار الفرنسيون في طرابلس الغرب ووضعهم تحت الحراسة ، كذلك العمل على مهاجمة السفن الفرنسية في البحر المتوسط ، لكن يوسف باشا تجاهل الأوامر العثمانية الصادرة إليه ، واستمر في إمداد القوات الفرنسية المتواجدة في مالطا بما تحتاجه من مؤن ، واكتفى بتنفيذ بعض الأوامر العثمانية المتعلقة بالاستعداد للدفاع عن حدود ولايته وقيام سفن أسطوله بجولات استطلاعية في البحر المتوسط ([27]) .

دخل يوسف باشا في عام 1801م في مفاوضات سرية مع شخص مفوض من قبل نابليون يدعى سوفيرويو ناوودي وهو رجل من جزيرة مالطا كان يعمل مترجماً للقنصل الفرنسي في طرابلس الغرب ، فتم الاتفاق بينه وبين يوسف باشا على توقيع معاهدة بينهما ، لكن هذه المعاهدة فقدت قيمتها بعد أن فشلت الحملة الفرنسية في مصر في تحقيق أهدافها وتم إجبار الفرنسيين على مغادرة مصر في أواخر عام 1801م ، لذلك قام يوسف باشا بتغير سياسته بعدما تأكد من عقد الصلح بين الفرنسيين من جهة والدولة العثمانية والإنكليز من جهة أخرى ، فأدرك تراجع النفوذ الفرنسي في المنطقة لصالح ازدياد النفوذ الإنكليزي ، فعمل على تقوية التقارب بينه وبين الحكومة الإنكليزية ([28]) .

ازداد التنافس الفرنسي الإنكليزي على طرابلس الغرب بعد انسحاب الفرنسيين من مصر حيث انتقل مركز الثقل في هذا التنافس إلى ميدان جديد للتنافس والتناحر بين الدولتين على استخدام طرابلس الغرب من أجل الوصول إلى افريقيا الوسطى ، وتجسد هذا الصراع بشكل واضح في المنافسة الشرسة بين القنصليين الفرنسي والإنكليزي للتأثير على يوسف باشا القرمانلي وكسب الامتيازات في الولاية كل لصالح دولته ، ففي عام 1814م حاول القنصل البريطاني وارنجتون إعادة بناء العلاقات الإنكليزية مع حكام ولاية طرابلس الغرب على أسس جديدة ، فحاول القنصل البريطاني الحصول على ضمان أمن البعثات الإنكليزية المتجهة إلى افريقيا الوسطى ، ففي عام 1818م تم تنظيم أول بعثة إنكليزية ، ثم جاءت بعثة أخرى في عام 1822م ، لكن هذه البعثات لم تحقق النتائج المرجوة إلى أن نجح المستكشف

**([26]) إسماعيل ، مرجع سابق ، ص 87 .**

**([27]) بروشين ، مرجع سابق ، ص 205 .**

**([28]) إسماعيل ، مرجع سابق ، ص 98 .**

الإنكليزي لاينج في الوصول إلى منطقة غدامس ثم إلى منطقة تمبكتو ، لكنه ما لبث أن قتل في ظروف غامضة وضاعت كل المواد الخاصة بهذه البعثة ([29]) .

كان مقتل لاينج سبباً في زيادة الصراع والتنافس بين إنكلترا وفرنسا على استخدام الاراضي التابعة لطرابلس الغرب من أجل التغلغل الاستعماري في أفريقيا الوسطى ، وتمثل هذه النزاع في اتهام القنصل الفرنسي في طرابلس الغرب روسو بأنه هو من قام بتدبير مؤامرة قتل لاينج ، كما تم اتهامه بأنه قام بسرقة جميع الوثائق المتعلقة بالبعثة التي كانت بحوزة لاينج ، وبدأت إنكلترا بحملة دعائية كبيرة لدى يوسف باشا ضد القنصل الفرنسي في طرابلس الغرب ، وقامت الحكومة الإنكليزية بإرسال سفينة حربية إلى طرابلس الغرب للتحقيق بملابسات مقتل لاينج ، فأدرك الفرنسيون أن يوسف باشا يميل إلى تصديق الإنكليز ، فصدرت أوامر إلى القنصل الفرنسي بإنزال العلم الفرنسي عن مبنى القنصلية والانتقال إلى تونس ، لكن الامر لم يستمر طويلاً حيث عاد النفوذ الفرنسي مجدداً إلى طرابلس الغرب ، وذلك عندما توجه أسطولاً فرنسياً إلى السواحل الليبية ، وبعد محادثات قصيرة جرى توقيع معاهدة جديدة بين الطرفين حملت طابعاً استعمارياً بالنسبة لطرابلس الغرب حيث أرغم حكام طرابلس على تقديم اعتذارات للجانب الفرنسي عن الاتهامات والاشاعات التي لاحقت القنصل الفرنسي ، فضلاً عن ذلك حظرت المعاهدة على ولاية طرابلس الغرب زيادة عدد سفن اسولها الحربي والبحري ، كما ألزمت يوسف باشا بدفع مبلغ 800 الف فرنك لتغطية نفقات إرسال الاسطول الفرنسي إلى طرابلس الغرب ، ودفع أموال دائنيه من الفرنسيين ([30]) .

### جـ ـ العلاقة مع الدانمارك :

رأت الدول الأوروبية الكبرى أن عودة الاسطول الليبي إلى نشاطه البحري أمر مقلق وخطير للغاية على مستقبل تجارتها ونشاطها البحري في البحر المتوسط ، فسعت تلك الدول إلى كسب ود حكام طرابلس وتقوية صلاتها بهم ، وكانت الدانمارك من بين تلك الدول التي ارتبطت بعلاقات جيدة مع أفراد الأسرة القرمانلية ، وعندما آل الحكم إلى يوسف باشا حاولت الدانمارك اختبار نوايا الباشا الجديد فتأخرت في تقديم الهدايا له ، مما أغضب يوسف باشا القرمانلي ، فقامت البحرية الليبية بأسر سفينتين دنماركيتين ، وعندما حاول قائد السفينتين الدنماركيتين الدخول في مفاوضات مع يوسف باشا لإبرام الصلح وإطلاق السفينتين المحتجزتين رفض يوسف باشا وقام برفع سقف مطالبه المالية ، مما أدى إلى فشل المفاوضات ([31]) .

حاولت الدنمارك تخفيض المطالب المالية ليوسف باشا مستخدمة أسلوب التهديد الغير مباشر عن طريق إرسال سفينة حربية دنماركية إلى ميناء طرابلس الغرب ، فحاول قائد السفينة عقد الصلح مع يوسف باشا وتوقيع معاهدة صداقة بين الطرفين ، لكن يوسف باشا استمر متمسكاً بمطالبه المالية الباهظة مما أدى إلى فشل المفاوضات مرة أخرى ، أعادت الدنمارك إرسال محاولتها لتسوية الأمر مع يوسف باشا في عام 1797م ، فأرسلت ثلاث قطع بحرية إلى شواطئ طرابلس الغرب لإجبار يوسف باشا على توقيع الصلح ، لكن إصرار يوسف باشا واعتداده بقوة أسطوله جعله يصدر أوامره بمواجهة هذه السفن على أمل أسر أحداها ، فوقع القتال بين الطرفين واستمر إلى غروب الشمس حيث اضطرت

**([29]) ميكاكي ، مرجع سابق ، ص 213 .**

**([30]) بروشين ، مرجع سابق ، ص 237 .**

**([31]) العربي ، مرجع سابق ، ص 117 .**

السفن لوقف القتال بسبب حلول الظلام ، لكن مع شروق شمس اليوم التالي عاد الطرفان إلى القتال دون أن يتمكن أحدهما من حسم المعركة لصالحه إلى أن تدخل قائد إحدى السفن الفرنسية من التوسط بين الطرفين لعقد الصلح ([32]).
بموجب هذا الصلح تعهدت الدنمارك بدفع مبلغ 70 ألف قرش بالإضافة إلى 3 آلاف قرش للوزراء وموظفي الباشا كما نص الاتفاق على حق حكام ولاية طرابلس الغرب أن ترسل كل أربع سنوات وفداً إلى الدنمارك لاستلام هدايا ثمينة مقدمة إلى حاكم طرابلس الغرب ، لكن اتضح فيما بعد أن الحكومة الدنماركية غير مهتمة كثيراً بتنفيذ بنود هذا الاتفاق، مما دفع بيوسف باشا إلى إصدار أوامر إلى أسطوله بمتابعة الهجوم على السفن الدنماركية في البحر المتوسط ، فتمكن الأسطول الليبي في عام 1799م من الاستيلاء على ثلاث سفن دنماركية ، فقامت الحكومة الدنماركية بمخاطبة السلطات العثمانية في العاصمة العثمانية لتضغط على يوسف باشا لإطلاق السفن المحتجزة ، لكنه لم يستجب لهذا الضغط ، فتدخل القنصل الفرنسي في طرابلس الغرب لحل هذه القضية ونجح بإقناع يوسف باشا بالإفراج عن السفن الدنماركية ، كما نجح القنصل الفرنسي بإقناع يوسف باشا والدنماركيين بالالتزام بشروط اتفاقية الصلح الموقعة بين الطرفين عام 1797م ، وهنا يمكن لنا أن نلاحظ مدى التأثير الفرنسي على يوسف باشا وتوجهاته السياسية ([33]) .

## 3. العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية :

سعت الولايات المتحدة الأمريكية كغيرها من الدول الأوروبية لضمان حماية سفنها التجارية في البحر المتوسط من خطر القرصنة والهجوم من قبل أساطيل الولايات العثمانية في الشمال الإفريقي، فكان أول تواصل بين الأمريكيين وحكام طرابلس في عام 1796م ، ففي ذلك الوقت كان يسعى يوسف باشا القرمانلي جاهداً لجعل أسطوله البحري قوة كبيرة مهابة الجانب في مياه البحر المتوسط ، ولم تكن الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت موقعة لأي معاهدة مع حكام طرابلس ، لذلك فإن سفنهم لم تكن محمية من هجمات الأسطول الليبي ، الذي قام قائده الريس مراد بأسر سفينتين أمريكيتين ، فقررت الحكومة الأمريكية الدخول في مفاوضات لإطلاق سراح سفنها وتحرير بحارتها ، كما هدفت إلى توقيع معاهدة صداقة مع طرابلس الغرب مشابهة للمعاهدات الموقع مع الدول الأوروبية الأخرى ، وذلك بهدف ضمان وحماية التجارة الأمريكية في البحر المتوسط ([34]) .

لجأ الأمريكيون لتحقيق هذا الهدف إلى إدخال داي الجزائر كواسطة بينهم وبين يوسف باشا ، ولهذا قام داي الجزائر بالاتصال بيوسف باشا وعرض الموضوع عليه ، لكن يوسف باشا رفض الموافقة على توقيع معاهدة مع الأمريكيين بسبب المبلغ الذي قدمه الأمريكيون ليوسف باشا القليل مقارنة مع ما كان يدفعه الأمريكيون لكل من تونس والجزائر لضمانة سلامة سفنهم من التعرض لهجمات أساطيل الشمال الإفريقي ، فرد الأمريكيون بتقديم سفينة إضافية تنضم إلى أسطول يوسف باشا ، وكذلك بتقديم الهدايا القنصلية إضافة إلى المبلغ المعروض سابقاً ، فتم توقيع بين الطرفين في تشرين الثاني من عام 1796م ([35]) .

---

**([32]) إسماعيل ، مرجع سابق ، ص 118 .**

**([33]) بروشين ، مرجع سابق ، ص 212 .**

**([34]) كولافولايان ، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمانلي ، ترجمة عبد القادر مصطفى المحيشي ، الطبعة الأولى ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ، طرابلس ، 1988 ، ص 51 .**

**([35]) الشارف ، عديدة ، دور الدبلوماسية الجزائرية في الصراع الطرابلسي الأمريكي 1795 – 1801م ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية ، جامعة بابل ، العدد 33 ، 2017 ، ص 107 .**

أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع عام 1799م رسولاً إلى يوسف باشا محملاً ببعض الهدايا ، وقام بنقل رسالة إلى حكام طرابلس كان مضمونها ارتياح الولايات المتحدة الأمريكية للاتفاق الموقع مع يوسف باشا ، إلا أن يوسف باشا لم يكن راضياً كلياً عن هذا الاتفاق حيث شعر بالغبن ، لأن الحكومة الأمريكية لم تعامله كما تعاملت مع حكام تونس والجزائر ، ولهذا أصر يوسف باشا على إلغاء هذه المعاهدة وعقد معاهدة مماثلة للمعاهدات الموقعة مع بقية ولايات الدولة العثمانية في شمال إفريقيا .

يمكن الملاحظة أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن ترغب في أن تتعامل مع حكام ولاية طرابلس الغرب بالقدر والمكانة نفسها التي تعاملت بها مع بقية الولايات العثمانية في الشمال الإفريقي ، لهذا أصر يوسف على إلغاء المعاهدة وعقد معاهدة جديدة يكون مبدأ التكافؤ فيها واضحا للطرفين مع حفظ حقوق ولايته في هذه المعاهدة ، إلا أن القنصل كاثاكارت كان يقدم الكثير من الأعذار و المسوغات التي تبرر سبب تأخر الولايات الحكومة الأمريكية بالإيفاء بالتزاماتها نحو طرابلس الغرب منها الشتاء القارس ، فكان رد يوسف عليه " لكن الشتاء القارس لم يمنع الولايات المتحدة من إرسال الشحنات التي طلبتها الجزائر" ، لذلك بعدما أيقن يوسف باشا أن الحكومة الأمريكية غير جادة في التعامل مع ولايته أسوة ببقية الولايات العثمانية المجاورة ، قرر إهانة الأمريكيين ، وأمر جنوده في 14 من أيار بأن يحطموا سارية العلم الأمريكي القائم أمام القنصلية الأمريكية في طرابلس الغرب في إشارة خطيرة إلى إعلان الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية ([36]) .

يذكر القنصل الأمريكي كاثاكارت في كتابه إلى وزارة الخارجية الأمريكية " زارني يوم 10 أيار مساءاً الحاج محمد وأعلن أن الباشا قرر إعلان الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية ، وسينزل العلم الأمريكي من على المبنى يوم الثلاثاء القادم ، وفي إمكاني البقاء بطرابلس إن شئت ولكني أبلغته أني لا أرغب في البقاء وسأحاول ترك طرابلس ، وفي 14 زارني الحاج محمد ، وأعلمني أن الرجال المكلفين بإنزال العلم قادمون وفعلا وصلوا وتمت المأساة " ([37]) . لم يكن ديل قائد الأسطول الأمريكي في البحر المتوسط قد علم بإعلان الحرب إلا في الثلاثين من حزيران ، وعندما علم بما حدث أصدر أوامره بالاستيلاء على السفن التابعة ليوسف باشا والمتواجدة بالقرب من جبل طارق ، كما حاول تدبير مؤامرة لإلقاء القبض على مراد ريس أحد أشهر قادة أسطول طرابلس الغرب والعدو اللدود للسفن والبحارة الأمريكيين من خلال خداعه واستدراجه إلى إحدى السفن الأمريكية بحجة التفاوض معه ، لكنه فشل في تحقيق مراده ، فأصدر أوامره بفرض حصار بحري على طرابلس الغرب ، وأعلن أنه سوف يستولي على السفن التابعة لولاية طرابلس الغرب ، بالإضافة إلى أي سفينة تدخل أو تخرج من طرابلس الغرب ، لكن هذا الحصار لم يستمر طويلاً ، فقد اضطر ديل بعد فترة قصيرة إلى رفع الحصار ، بسبب حاجة أسطوله إلى المواد الغذائية والمياه الصالحة للشرب ، فعاد إلى جبل طارق دون نتائج تذكر([38]) .

**([36]) بنيان ، عبد الجليل برغل ، السياسة الأمريكية اتجاه طرابلس الغرب ، مجلة كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، العدد 4 ، 2017، ص 452 .**

**([37]) الشتيوري ، منصور عمر ، حرب القراصنة بين دول المغرب العربي والولايات المتحدة الأمريكية ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الفرجاني، طرابلس ، 1970 ، ص 132 .**

**([38]) بروشين ، مرجع سابق ، ص 177 .**

**ـ الحملات البحرية الأمريكية على طرابلس الغرب :**

**1ـ الحملة البحرية الأولى بقيادة موريس :** قررت الحكومة الأمريكية في الثامن من كانون الأول 1801م ، بعد الحصول على موافقة الكونجرس إعلان الحرب على طرابلس الغرب ، تلك الحرب التي كانت قد بدأت فعليا قبل ستة أشهر، وكانت مبررات إعلان الحرب على طرابلس الغرب قرار بحماية التجارة الأمريكية من هجمات الأسطول التابع لولاية طرابلس الغرب ، فأصدر الرئيس الأمريكي أوامر بتسليح وتجهيز الأسطول الأمريكي ، وتقرر توجيه الأسطول إلى البحر المتوسط بقيادة ريتشارد موريس ، وكان هذا الأسطول يتألف من ست قطع حربية تضاف إلى السفن الثلاث الموجودة سابقاً في البحر المتوسط . لم يتعجل موريس بالبدء في العمليات القتالية ضد طرابلس الغرب ، لأنه كان يعتقد أن مهمته سهلة واعتبر حملته رحلة استجماميه حيث اصطحب معه زوجته وأطفاله وأصدقائه وعائلتهم ، لكنه تفاجئ بصمود طرابلس الغرب وتبخرت أحلامه في تلقين يوسف باشا درساً قاسياً عبر قصف طرابلس الغرب من البحر حيث لم تحقق تلك الخطة النتائج المرجوة . وعلى إثر ذلك بدأت المفاوضات بين الطرفين ، إلا أنها لم تؤد إلى نتيجة ، بسبب إصرار يوسف باشا القرمانلي كعادته على شروطه الأولى ، وطالب بزيادة المبالغ المالية التي يجب أن يتقاضاها لقاء منح السفن الأمريكية حرية الملاحة في البحر المتوسط دون أن تتعرض للقرصنة من السفن الليبية ([39]) .

**2ـ الحملة البحرية الثانية بقيادة بربيل :** قررت الحكومة الأمريكية بعد فشل الحملة الأولى في تحقيق أهدافها إرسال حملة ثانية بقيادة إدوارد بربيل في العشرين من أيار 1803 م ، وكانت تتألف هذه الحملة من سبع سفن حربية حيث تجمعت تلك السفن المشاركة في الحملة الجديدة على طرابلس الغرب في شهر أيلول عام 1803م في جبل طارق ، وقرر قائد الحملة أن يتخذ من مدينة سرقسطة الإسبانية محطة للتزود بالماء والمؤن . كما قرر عدم المخاطرة بكامل سفنه وإرسالها إلى الحرب حيث اكتفى بإرسال الفرقاطة فيلاديفيا ترافقها سفينة شراعية ، وذلك بهدف فرض حصار بحري على طرابلس الغرب ، لكن الفرقاطة الأمريكية ارتطمت ببعض الصخور القريبة من سطح الماء وعلقت بها ، والتي تسمى علمياً حيد بحري ، وهي غير مدونة على الخريطة التي كانت بحوزة قائد السفينة الأمريكية ، وحدث ذلك عندما كانت تطارد مركبا طرابلسياً ، وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلت لتخليص الفرقاطة فإنها بقيت عالقة . عندئذ دعا قائد الفرقاطة ضباطه إلى الاجتماع ، لإيجاد حل لتخلص من هذه الورطة حيث أدركوا أنه لا فائدة من المقاومة، فكانوا أمام خيارين إما الاستسلام أو تفجير السفينة بأنفسهم وبنتيجة المشاورة اجمعوا على أن الاستسلام هو الخيار المناسب. وعند غروب الشمس ألقي البحارة الطرابلسيون القبض على السفينة وعلى من كان عليها من الأمريكيين ([40])، وقام قائد السفينة الأمريكية بإرسال رسالة إلى وزير البحرية الأمريكية يخبره بما حل بالفرقاطة فيلادلفيا كان مضمونها التالي " تقهرني الظروف وتجبرني على الكتابة لكم عن أسوا خبر رأيته في حياتي ، وأنه من المؤلم أن أقول بأن هذا الخبر هو فقدان الباخرة فيلاديلفيا التي كانت تحت قيادتي ، وقد وقع فقدانها بعد أن اصطدمت بالصخور على بعد خمسة أميال من طرابس " ([41]) .

ترك خبر استيلاء الليبيون على السفينة الأمريكية فيلادلفيا صدى واسعاً في الدول الأوروبية التي بدأت تخشى من أن يتشدد يوسف باشا بعد ذلك في سياسته نحو السفن التجارية الأوروبية ، ويتشدد في فرض شروطه . وأمام هذه الظروف

---

**([39]) المرجع السابق ، ص 180 .**

**([40]) رايت ، لويس ، الحملات الأمريكية على شمال إفريقيا في القرن الثامن عشر ، تعريب محمد البعلبكي ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس الغرب ، ص 229 .**

**([41]) الشيتوري ، مرجع سابق ، ص 200 .**

قرر يربيل انتظار وصول الامدادات من الحكومة الأمريكية من ، وبعد دراسة عدة خطط لاستعادة هيبة الأمريكيين في البحر المتوسط بعد سقوط فيلادلفيا صدرت أوامر تقضي بالتسلل إلى ميناء طرابلس الغرب وتدمير الفرقاطه فيلادلفيا في مكانها ، وبالفعل تمكن الأمريكيون من أن يتسللوا اليها ، وتم قتل 20 بحاراً ليبياً وإحراق السفينة ، وقد زاد هذا التصرف من حنق الباشا وغضبه على الأمريكيين الذين عادوا من جديد إلى مهاجمة طرابلس الغرب ، وقاموا بالكثير من العمليات ضد مراكب السفن الليبية داخل الميناء ([42]) .

**3ـ الحملة البحرية – البرية بمساعدة أحمد باشا القرمانلي** : بعد فشل حملة بروبيل وضع آيتون القنصل الأمريكي في تونس خطة سرية لغزو طرابلس الغرب ، وكانت هذه الخطة تقوم على أساس تنظيم انقلاب في طرابلس الغرب تكون نتيجته الإطاحة بحكم يوسف باشا وتنصيب باشا جديد موال للولايات المتحدة الأمريكية حيث وجدت الحكومة الأمريكية ضالتها في شخص أحمد باشا القرمانلي أخ يوسف باشا ، والذي كان قد خلع من قبل يوسف باشا سنة 1795م ([43]) ، وتم الاتفاق مع أحمد باشا عند وصوله إلى السلطة بمساعدة الأمريكيين . إن يعلن أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة التي تتمتع بالحقوق الأكبر في الحصول التسهيلات والامتيازات التجارية في طرابلس الغرب ([44]) .

أصدرت الولايات المتحدة الأمريكية أوامر بتعيين قائد جديد للأسطول الأمريكي المكلف بقتال طرابلس الغرب وهو القائد بارون الذي حل مكان برئيل في قيادة الأسطول ، وعندما وصل بارون إلى جزيرة مالطا قام بالاتفاق مع آيتون قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في تونس لإرسال آيتون مع جزء من الأسطول الأمريكي إلى الإسكندرية لمفاوضة أحمد الفرمانلي الذي كان قد جاء إلى مصر مع أحد زعماء المماليك ، وأكد له أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تعقد الصلح مطلقاً مع يوسف باشا . فتم الاتفاق بين أحمد باشا والقنصل الأمريكي آيتون على توقيع اتفاق بين الطرفين حصل بمقتضاه أحمد باشا على تأكيد ودعم الحكومة الأمريكية على أن تبذل كل جهد لإعادة تثبيته على كرسي الحكم في طرابلس الغرب ، مقابل تعهده بتسديد نفقات الحملة في حال إحراز النصر . وتم الاتفاق أن توكل قيادة هذه الحملة إلى آيتون على أن يرافقه أحمد باشا ومناصريه ([45]) .

كانت الخطة الأمريكية تقوم على أن تشارك هذه القوة إلى جانب القوات البحرية الأمريكية البحرية في احتلال درنة ، ثم تواصل الزحف على طول ساحل برقة لتحتل كل مدينة هامة في طريقها ، لتصل في النهاية وتهاجم طرابلس الغرب. استغرق وصول قوات أحمد باشا مع القوات الأمريكية واحتلالها لمدينة درنة ستة أسابيع ، فبعد هجوم شرس تم احتلال درنة ورفع العلم الأمريكي ، لكن القوات المهاجمة ما لبثت أن وجدت نفسها محاصرة من قوات ليبية جديدة بعد وصول تعزيزات عسكرية أرسلت من طرابلس الغرب ([46]) ، في الوقت الذي كان آيتون مشغولاً في تجنيد قوات جديدة في مصر لقتال يوسف باشا ، مما أدى إلى إرباك القوات المهاجمة خصوصاُ مع الخسائر الكبيرة التي مني بها الأمريكيون بعد أن تكبدوا خسائر فادحة في الأرواح ([47]) . في تلك الأثناء تلقى آيتون أوامر جديدة من بارون يقترح

**([42]) بروشين ، مرجع سابق ، ص 186 .**
**([43]) المرجع السابق ، 187 .**
**([44]) روسي ، مرجع سابق ، ص 380 .**
**([45]) ميكاكي ، مرجع سابق ، ص 163 .**
**([46]) كولافولايان ، مرجع سابق ، ص 61 .**
**([47]) ميكاكي ، مرجع سابق ، ص 163**

فيها إجراء مفاوضات مع يوسف باشا ، فجرت المفاوضات بين الطرفين وتم الاتفاق على إنهاء الحرب وعقد الصلح وتوقيع معاهدة سلام بينهما في الرابع من حزيران عام 1805م ([48]) .

استطاع يوسف باشا في بداية حكمه أن يحقق لولايته الأمن والاستقرار وأن يكدس الأموال في خزائنه بفضل الضرائب التي فرضها على الكثير من الدول الناشطة تجارياً في البحر المتوسط ، فضلاً عن الضرائب التي كان يفرضها على السكان المحليين ، إلا أن الأمور لم تستمر طويلاً على هذا المنوال ، فقد حدثت في نهاية حكمه عدة تطورات أدت إلى تنازله عن السلطة ، ومن ثم أدت لاحقاً إلى نهاية حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا ، وكان على رأس هذه التطورات نجاح الدول الأوروبية بالقضاء على القرصنة في البحر المتوسط نتيجة ما تمخض عنه مؤتمر فينا عام 1815م ، وما تلاه من مؤتمرات أوروبية كان من أبرز مقرراتها إلغاء القرصنة واسترقاق المسيحيين في البحر المتوسط ، مما انعكس سلباً على الوضع الاقتصادي في طرابلس الغرب حيث خسرت الولاية المورد الرئيسي للخزينة ([49]) .

أدى نقص الموارد المادية إلى حدوث إضرابات اقتصادية ، فقام يوسف باشا ببعض الإجراءات المالية للخروج من أزمته، فقام بتغير العملة المتداولة على أمل الحد من انخفاض قيمة العملة ، لكن هذا الإجراء لم يحقق نتائجه المرجوة واستمرت العملة في التدهور([50]) ، كما قام يوسف باشا باحتكار تجارة بعض المنتجات المصنعة يدوياً في الولاية ، إضافة إلى احتكار تجارة القمح وشراء كل حاجيات القوات العسكرية في الولاية والأسطول والقصر ، ورغم اتخاذ جميع هذه الإجراءات فإن ذلك لم يؤدي إلى انتعاش الأوضاع الاقتصادية ، بل أعطت نتائج عكسية حيث أدت إلى كساد الاقتصاد وانحطاطه ([51]) . فأرغم يوسف باشا بعد فشل جميع الاجراءات التي اتخذها لتحسين الوضع الاقتصادي والخروج من أزمته المالية إلى الاستدانة من التجار الأجانب في المدينة بفوائد باهظة ، وعندما عجز عن سداد تلك الديون لجأ إلى المماطلة والتهرب من دفع المستحقات المالية المترتبة عليه للدائنين الأجانب الذين قاموا باللجوء إلى قناصلهم المقيمين في طرابلس الغرب ، والذين وجدوا في ذلك فرصة للتدخل في شؤون الولاية والضغط على يوسف باشا ، لذلك يمكن القول أن إلغاء القرصنة وما تبعه من انعكاسات على الاقتصاد في طرابلس الغرب كانت السبب الرئيسي في إجبار يوسف باشا على التنازل عن السلطة ومن ثم القضاء نهائياً على حكم الاسرة القرمانلية في الولاية ([52]) .

## خاتمة :

تأثرت العلاقات السياسية الخارجية لولاية طرابلس الغرب خلال حكم يوسف باشا القرمانلي بالظروف السياسية المحلية والإقليمية والدولية ، فلقد استطاع يوسف باشا فرض شروطه على القوى الدولية ذات المصالح التجارية في البحر المتوسط عندما تكون الأوضاع السياسية الداخلية في الولاية مستقرة وهادئة ، والظروف الإقليمية والدولية مواتية خاصة عند اختلاف وتصارع القوى الكبرى ، كذلك تأثرت تلك العلاقات بمدى قدرة وقوة الطرف المقابل وحجم تأثيره على الساحة الدولية ، وتجلى ذلك بوضوح في علاقة طرابلس الغرب في فترة حكم يوسف باشا مع كل من الدانمارك والولايات المتحدة الأمريكية حيث استطاع فرض شروطه على حكومتي الدانمارك والولايات المتحدة الأمريكية رغم جميع

**([48]) إسماعيل ، مرجع سابق ، ص 403 .**

**([49]) بروشين ، مرجع سابق ، ص 223 .**

**([50]) ميكاكي ، مرجع سابق ، ص 204 .**

**([51]) بروشين ، مرجع سابق ، ص 226 .**

**([52]) إسماعيل ، مرجع سابق ، ص 238 .**

المحاولات التي قامت بها الدولتين لفرض شروطهم على حكومة طرابلس الغرب ، في المقابل رضخ يوسف باشا للمطالب الأوروبية التي أقرها مؤتمر أكس لاشابل المتعلقة في إيقاف القرصنة البحرية في البحر المتوسط ، بعدما توافقت جميع الدول على القضاء على هذه الظاهرة الخطيرة على النشاط التجاري في البحر المتوسط .

## References


- Al-Arabi, Bou Anani, The European Alliance and the End of the Rule of Youssef Pasha Al-Qaramanli, 1795 - 1832, Al-Khaldouniya Journal of Humanities and Social Sciences, Ibn Khaldun University, Tiaret, Issue 12, 2017
- Al-Shatiouri, Mansour Omar, The Pirate War between the Maghreb countries and the United States of America, first edition, Al-Ferjani Foundation, Tripoli, 1970.
- Al-Sharif, Hadida, The role of Algerian diplomacy in the American-Tripolitan conflict 1795-1801 AD, Journal of the College of Basic Education for Educational and Human Sciences, University of Babylon, No. 33, 2017.
- Al-Khayyat, Abdullah Khalifa, Political Relations between the State of Tripoli of the West and England 1775-1832, first edition, General Establishment for Publishing and Distribution, Tripoli, 1985.
- Alwan, Iman Muhammad Abduh, The Political Role of Yusuf Pasha Al-Qaramanli in West Tripoli 1795-1832, University of Baghdad, Baghdad, 2017.
- Al-Weiba, Kamel Ali Masoud, The Ottoman Administration in West Tripoli 1842-1911, Publications of the Jihad Al-Libyan Center for Historical Studies, 2005.
- Brenna, Costanzio, Tripoli from 1510 to 1850 AD, Arabized by Muhammad Khalifa Al-Talbasi, National Book House, Benghazi, 1985.
- Broshin, Nikolai Ilitch, The History of Libya in the Modern Era from the Mid-Sixteenth Century to the Beginning of the Twentieth Century, translated and presented by Imad Hatem, New Book House, Beirut, 2001 .
- Bunyan, Abdul Jalil Burghul, American policy towards Tripoli to the West, Journal of the College of Education, Al-Mustansiriya University, Issue 4, 2017.
- Ferro, Charles, Libyan Annals from the Arab Conquest to the Italian Invasion, edited by Abdul Karim Al-Wafi, third edition, Khan Yunis University Press, Benghazi, 1994.
- Harb, Muhammad, The Ottomans in History and Civilization, Egyptian Center for Ottoman Studies, Cairo, 1994.
- Ismail, Omar Ali, The Collapse of the Qaramanli Dynasty's Rule in Libya 1795-1835, first edition, Al-Ferjani House, Tripoli, 1966.
- Kulavo Layan, Libya during the rule of Yusuf Pasha Al-Qaramanli, translated by Abdul Qadir Mustafa Al-Muhayshi, first edition, publications of the Center for the Study of Libyan Jihad, Tripoli, 1988.
- Rushdi, Rasim, Tripoli of the West between Past and Present, first edition, Tripoli, 1953 AD.

- Mikaki, Rodolgo , West Tripoli under the rule of the Karamanli family , translated by Taha Fawz , Al-Farjani House , Tripoli .
- Rossi, Aturi, Libya from the Arab Conquest until 1911 AD, translated by Khalifa Muhammad al-Talisi, Alexandria Library, 1974 AD.
- Wright, Lewis, American campaigns against North Africa in the eighteenth century, Arabization of Muhammad Al-Baalbaki, Al-Ferjani Library, Tripoli Al-Gharb.
- Yaghi, Ismail Ahmed, The Arab World in Modern History, first edition, Obeikan Library, Riyadh, 1997.
- Youssef, Walid Khaled, The rule of the Qaramanli family in the western state of Tripoli (1711-1835 AD), Tikrit University Journal of Science, Volume 19, Issue Six.